

الوثيقة التاريخية ودورها في البحث العلمي

مجلة مسارات علمية, السنة الخامسة, العدد الثالث عشر, الجزء الثاني, يونيو  
2020م.

إعداد: الدكتور: سعد رحومة المبروك شميصة

جامعة الزنتان

كلية التربية / الزنتان

2020م

## الوثيقة التاريخية ودورها في البحث العلمي

### المقدمة:-

تعد الوثائق التاريخية من أهم كنوز ومصادر المعرفة والشاهد الأول على التاريخ, والدليل البارز على السمة الحضارية للشعوب, فهي أغنى نفائس التراث لدى الأمم وذاكرتها الحية, مِمَّا زاد من أهميتها التاريخية, وجعلها تلعب دورًا هامًا في البحث العلمي باعتبارها المصدر الوحيد للمعلومات فهي التي تضعنا في قلب الأحداث الماضية, وهي المعين الذي يستمد منه الباحثون والمؤرخون مصادرهم التي يعتمدون عليها في دراساتهم وأبحاثهم, كما أنها الخزين الذي يمدّهم بالحقائق, والمعلومات الثرية المتنوعة مِمَّا جعلها المرجع الأساس للبحث العلمي والأصول التي يعتمد عليها تدوين التاريخ.

وانطلاقًا من أهمية الوثائق ودورها في خدمة العلم أخذت دول العالم المختلفة منذ أقدم العصور تحرص على توثيق تاريخها الوطني, ومستودعات أرصدها الوثائقية فاتجهت إلى إنشاء مؤسسات وطنية تعني بجمع واختزان هذه الوثائق, وتعمل على فهرستها وصيانتها بغرض الاستفادة منها.

وتعد قلة الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع بإسهاب من أهم الأسباب التي دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع, أما المنهج المتبع في هذا البحث فهو المنهج السردى القائم على تحليل النصوص وتوضيحها, وعرض آراء المؤرخين والباحثين ومقارنتها للوصول إلى الحقيقة التاريخية باستخلاص نتائج محددة.

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يلقي الضوء على فائدة الوثائق ودورها في البحث العلمي, من خلال تعريف الوثيقة, وكيفية حفظها وتقييمها, وإبراز أهميتها في البحث التاريخي.

لذا هدفت هذه الدراسة لإثبات حقيقة تاريخية وهي أن الباحث لا يمكنه الاستغناء عن الوثائق عند كتابته للتاريخ, وهو ما دفعه لكتابة هذا البحث, و في ضوء ما توفر من مادة تاريخية فقد ركز البحث على النقاط التالية:

- تعريف الوثيقة

- دورة حياة الوثائق

- كيفية حفظ الوثائق.

- أهمية الوثائق في البحث التاريخي.

- مراحل تطور الوثائق عند العرب, وكيفية الاعتماد عليها.

- العلاقة بين الوثائق وعلم التاريخ.

- مراحل وصول الوثيقة إلى دور الوثائق المتخصصة.

- مبادئ وأسس تقييم الوثائق.

- المخاطر التي تواجه الوثائق.

- كيفية حفظ الوثائق.

**تعريف الوثيقة:**

الوثيقة لغة الإحكام في الأمر<sup>1</sup>, واصطلاحًا أي نص مكتوب باليد على الورق, أو منقوش أو مرسوم على الحجر والفخار, تُعرف من خلالها تجارب وخبرات السابقين, وتعكس أحداث الماضي بموضوعية بعيدة عن التحيز, ويطمح الباحثون من خلالها إلى الوصول إلى الحقيقة, وتساعدهم على تجنب الأخطاء في الحاضر والمستقبل, إذ لا تاريخ بدون وثائق, والأمة بدون

وثائق فهي أمة فاقدة لذاكرتها, ويسهل تدليس تاريخها, ويشترط في الوثيقة احتوائها على عمل من الأعمال, وقد تم الاحتفاظ بها بشكل سليم يوضح ذلك العمل<sup>2</sup>, وتنقسم إلى العديد من الأقسام منها: الوثيقة الأرشيفية, والوثيقة الخطية, والوثيقة المطبوعة, والتي يمكن أن تحفظ في المتحف أو دور الكتب<sup>3</sup>.

## دورة حياة الوثائق:-

للوثائق دورة منتظمة تبدأ ببداية إنتاجها وولادتها, وتنتهي بإتلافها والتخلص منها, وهي بهذا تشبه دورة حياة الكائن الحي التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت, ونستطيع توضيح دورة الوثائق في مسارها المنتظم من خلال المراحل التالية:

1. **مرحلة التكوين:** تبدأ هذه المرحلة ببداية الكتابة على ورق أو حجر أو استخدام شريحة أو شريط تسجيل أو شريط ممغنط أو رسم صور أو خريطة, لتصبح وثيقة تحمل في طياتها كم من المعلومات تتطلب من المسؤولين حفظها<sup>4</sup>.

2. **مرحلة الاستخدام والتداول:** تعتبر هذه المرحلة خطوة مهمة في دورة حياة الوثائق, إذ من خلالها يتم تجهيز الوثائق لاستخدامها في المجال العلمي, وفي هذه المرحلة يتم التعرف على اسم كل وثيقة ورقمها بقدر الإمكان, ومعرفة مكان وجود نسخ منها إن وجد, ومعرفة هل هذه الوثيقة أصلية أو مصورة, وما نوع المعلومات التي تحويها هذه الوثيقة, وهل هي وثيقة حيوية وأساسية مهمة ومفيدة أم غير أساسية لتسهيل الاستفادة منها بعد الانتهاء من حفظها ومراجعتها وتقييمها<sup>5</sup>.

3. **مرحلة التقييم:** وفي هذه المرحلة يتم تحديد العمر الزمني لكل نوع من الوثائق ثم يتم تقييمها لغرض حفظها حفظ دائم أو متوسط أو مؤقت أم إتلافها, وقبل الحفظ تصنف الوثائق وفقا لأهميتها إلى وثائق حيوية أو أساسية, ووثائق مهمة وهي التي يستفاد منها

في الأغراض العلمية والإدارية, ووثائق مفيدة, ووثائق غير أساسية, وهذه تنتهي أهميتها بنهاية العمل بها فتحفظ مؤقتا حتى ينتهي العمل بها ثم تتلف<sup>6</sup>.

4. **مرحلة الحفظ:** وفي هذه المرحلة يتم استخدام أحدث الوسائل التقنية المتطورة لحفظ الوثائق في صورة جيدة تمكن الباحثين من الاستفادة من هذه المصادر العلمية<sup>7</sup>.

5. **مرحلة التحويل:** ومن خلالها تحول الوثائق من الحفظ النشط إلى الحفظ غير النشط, وإلى التخلص منها بإتلافها.

6. **مرحلة الإتلاف:** وهي المرحلة الأخيرة في دورة حياة الوثائق, ومن الأساليب الحديثة في إدارة الوثائق إعداد نموذج خاص بالإتلاف يحوي وصف شامل للوثائق, وتاريخها, ومدة حفظها, وبيان شامل ينص على عدم فعالية هذه الوثائق, وتوقيع الموظف المسؤول عن الإتلاف<sup>8</sup>.

### **كيفية حفظ الوثائق:-**

يطمح المختصون بحفظ الوثائق إلى تجميع واختزان وتنظيم المواد والوثائق المدونة؛ لتكون في متناول الباحثين<sup>9</sup>, وذلك عن طريق تقديمها ونسخها واسترجاعها في الوقت المناسب لاستخدامها في كشف حقيقة, أو دعم حق من الحقوق أو البرهنة على رأي والاستدلال على حالة من الحالات<sup>10</sup>.

نخلص ممّا سبق إلى أن الوثائق هي مصدر المعلومات الضروري لإيجاد أي بحث سواء كان تاريخياً أم قانونياً أم مالياً, أي أنه لا غنى للباحثين عن الرجوع إليها مستقبلاً, وللمحافظة عليها سليمة يتطلب مراعاة الآتي:

1. لا بد أن ترقم الوثائق بأرقام تسلسلية تبين عدد الوثائق.

2. اسم الهيئات أو المؤسسات التي أصدرت تلك الوثائق.

3. المصدر أي كيف حصلت عليها دار الوثائق.

4. وصف الوثائق, هل هي وثائق أصلية, مصورة, مطبوعة, مخطوطة, كاملة, ناقصة.

5. أية ملاحظات أخرى تساعد على فهم هذه الوثائق والاستفادة منها, كالإشارة إلى ندرتها وأهميتها<sup>11</sup>.

### أهمية الوثائق في البحث التاريخي:-

تكمن أهمية الوثائق في البحث التاريخي كونها ذاكرة رصيد الأمم ومادته الأولى, فهي العنصر الرئيس المكون للوعي التاريخي, ومن أهم مصادر المعرفة, وهي الأصول النزيهة التي يجد العلماء والباحثون بين ثنايا سطورها من الحقائق ما يسد الثغرات الناقصة, ويستكمل منها الحلقات المفقودة, وتعد الوثائق من المصادر الأصلية, والأساسية لدراسة التاريخ لكونها منبعاً مادياً أصلياً يجد فيه الباحث, والمؤرخ الكثير من الحقائق الأصلية التي تحتوي معلومات تاريخية تتناول مسائل السياسة<sup>8</sup>, والاقتصاد والتجارة وعادات الشعوب وتقاليدها ونظم الحكم, وكل ما يتعلق بالحقائق العلمية, والحضارية عن الماضي, فكما أنها الذاكرة الحية للأوطان, فهي تعين الباحث في فهم الماضي, وتكشف أسرار قواعد العلوم وأصولها في كل المجالات كالطب, والفلك, والنظم السياسية, والاقتصادية, والمال والفن والثقافة<sup>12</sup>.

كما أنها تعكس صورة الماضي بأحداثه وأخباره ومجريات الأمور فيه, لتكون مصدراً مهماً من مصادر البحث التاريخي, ولتؤكد أن قيمة أية وثيقة ليس بقدمها أو بالشخص الذي دونها وإنما بالمعلومات المشتملة عليها<sup>13</sup>.

ويعتبر البحث عن الوثائق من أهم العمليات الأساسية لكتابة التاريخ, وكشف كمية من الوثائق المهمة عن الموضوع المعين هو الذي يحدد إمكان الاستمرار في بحثه, أو العدول عنه إلى غيره, والباحث الذي يفوته الوصول إلى مجموعة الوثائق الأساسية لبحثه لا يكون لبحثه قيمة علمية, مهما كانت كفايته وقدراته على العمل, وخاصةً أن المادة التاريخية التي تشتمل

عليها الوثائق ثابتة, غير أن تناول الباحثين لتلك الوثائق والجانب الذي يؤكدون عليه, هو الذي يظهر فيها بعض التباين, وهذا يتوقف إلى حد كبير على تصورات الباحثين لمدلولات الوثائق وطريقة تحليلها, وقابليتهم على إثبات صحتها وعدم تزويرها, ولا بد للباحث أن يقف على المصطلحات التي تكتسبها المخطوطات أو الوثائق عند حفظها و تخزينها, لأن إمامه بالمصطلحات والتعريفات الخاصة بها يسهل مهمته ومهمة القائمين على الحفظ والخرن في الوصول إلى الوثائق بسرعة, كما أن هناك علاقة وثيقة بين الاستفادة المثلى من الوثائق وبين معرفة وإطلاع الباحث على الدراسات المصدرية, التي تشمل الإطلاع على المقدمات والتعريفات والمداخل التي يكتبها القائمون على حفظ الوثائق عن مجاميعهم, وكثيرًا ما يجد الباحث فجوات في التاريخ لا يستطيع أن يملأها؛ لأن الكثير من الوثائق تنطمس آثارها وتزول دلالاتها وتعرض إلى ظروف مختلفة أو تتعرض للتلف والضياع, بسبب الثورات والحرائق والفيضانات أو الرغبة في التخلص من الوثائق وإتلافها عمدًا عندما تكون في حوزة من لا يفهم قيمتها التاريخية, أو من يعتمد لمنع تداولها<sup>14</sup>.

نخلص مِمَّا سبق إلى أن الهدف من التوثيق هو توفير المعلومات وتسهيل استخدامها لكل الفئات سواء في مجال البحوث الأكاديمية أم لمتخذي القرارات, وفي كل الميادين سياسية كانت أو اقتصادية أو غيرها من الميادين مصداقا للقول المأثور "لا تاريخ لأمة بلا وثائق", والوثائق المنظمة هي ذاكرة الأمة الحية, كما أنها تمثل وديعة الأجيال الحاضرة إلى الأجيال القادمة, وأن الحفاظ عليها وتنظيمها هو حفاظ تاريخها ومجدها واستثمارها لخدمة المجتمع, لأنها تؤدي دورًا متميزًا في ربط الماضي بالمستقبل, وبذلك فهي أئمن نفائس التراث لدى الأمم وذاكرتها الحية الباقية, كما أنها الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها تاريخ الأمم بالبحوث, والدراسات التي تتم حول العديد من الموضوعات المتعلقة بحياة مجتمع من المجتمعات, مِمَّا جعل الوثائق نقطة البداية في علوم ومعارف المجتمعات ومصادرها الأصلية, ولهذا السبب يقال إن تاريخ الدول والأمم محفوظ في دور وثائقها<sup>15</sup>.

## مراحل تطور الوثائق عند العرب وكيفية الاعتماد عليها:-

إذا كانت النقوش والتماثيل والصور والوثائق الكتابية وغيرها من أواني ولوازم قد تركها الإنسان القديم شاهداً موثقاً به على مدى اتساع حضارة هذا الإنسان, نستطيع من خلالها معرفة حياته من كل جوانبها, فإن الوثائق صارت أمراً لا غنى عنه إذ هي المصادر الأولية الصحيحة لمعرفة واقتناء المعلومات على اختلاف أوجهها, لأن الذاكرة لا تستطيع أن تستوضح الماضي بكل دقائقه وخفاياه, ممّا جعل التاريخ معرض للزيادة والنقصان, ومن هنا تبرز أهمية الوثائق في حياة الأمة حيث تروي بأمانة وصدق كل دقائق حياتها وتصرفاتها, بل هي تاريخها الحقيقي سجلت حضارتها وأرخت خطوات تقدمها, إنها الشاهد الصادق المعبر على تلك الحضارات, ومن هنا صار الاهتمام بالوثائق أمراً ضرورياً باعتبارها تراثاً فكرياً سجل نشاطاً واسعاً وهي عمدة التاريخ العربي.

ولقد عرف العرب الوثائق التاريخية قبل غيرهم من الأمم بعصور مختلفة باعتبارها ذخيرة كبيرة متعددة الأنواع والأشكال, فالوثائق التاريخية هي من أقدم الوثائق في العالم, ويمكن تقسيم هذه الوثائق حسب الحقب الزمنية التي مرت بالعرب على النحو الآتي:

1. **عصر ما قبل التاريخ:** وهو العصر الذي سبق اختراع الكتابة, وتتمثل وثائق هذه الحقبة بالآثار المادية التي خلقها الإنسان العربي, وقد وُجدت هذه الآثار مطمورة في باطن الكهوف والتلال الأثرية متمثلة في الأدوات المصنوعة من الحجارة والأواني والهيكل العظمية والأسلحة والمنحوتات وغيرها, وهذه الوثائق بمجملها تمثل المادة الأساسية لدراسة تاريخ الإنسان العربي الذي كان متواجداً في المنطقة العربية في عصور ما قبل التاريخ<sup>16</sup>.

2. **العصر التاريخي:** أو عصر الحضارات القديمة والتي عرف فيها الإنسان العربي الكتابة, ومن أبرز وثائق هذه الفترة الألواح الطينية التي اكتشفت في آثار بابل وآشور في العراق ولفائف البردي في مصر, بالإضافة إلى الرقوق المصنوعة من جلود الحيوانات والتمائيل والنصب والمسلات والأختام الاسطوانية, والأبنية كالمعابد والأبراج والأهرامات التي أوجدها الإنسان العربي القديم<sup>17</sup>.

3. **العصر الجاهلي أي عصر ما قبل الإسلام:** من ابرز المظاهر الحضارية لهذا العصر ظهور الممالك العربية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها مثل مملكة الحضر ودولة المناذرة في العراق ومملكة تدمر ودولة الأنباط, ودولة الغساسنة في الشام, ومملكة معين ومملكة سبأ ومملكة حمير باليمن, وقد تركت هذه الدول آثارًا تدل عليها متمثلة في القصور والقلاع الحربية والمعابد وغيرها من الأبنية, كما خلفوا كتابات ونقوش مثلت بدايات نشوء الخط العربي وتكونه مثل نقش أم الجمال الذي يعود تاريخه إلى سنة 250م, ونقش النمارة سنة 328م, ونقش زبد سنة 512م, وغيرها<sup>18</sup>.

4. **عصر الدولة العربية الإسلامية:** بدأ هذا العصر بقيام الدولة العربية الإسلامية التي أقامها النبي الكريم محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام في المدينة المنورة بعد هجرته من مكة المكرمة على هيئة رسائل بعثها النبي الكريم محمد  $\rho$  إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام, حيث كان له كُتَّاب تخصصوا في الكتابة, وبعضهم تعلم لغات غير العربية ليقوموا بالترجمة, وعندما تولى الخليفة عمر بن الخطاب  $\tau$  وضع أساس الإدارات الحكومية بعدما قام بترتيب الدواوين, وفي الدولة الأموية تم اختيار رؤساء للدواوين من أمهر الكُتَّاب, وظل الحال هكذا حتى صارت هذه الصناعة ذات أهمية أيام بني العباس, وصار ديوان الإنشاء أيام الدولة الفاطمية فتم انشأ ديوان مستقل وأعمال واسعة, واهتموا بتسجيل الوثائق عن أخبارهم ونشر الدعاية لعقائدهم, وفي عهد الأيوبيين تنوعت المكاتبات إلى درجة بعيدة فالقلقشندي قد ولي هذا الديوان حوالي سنة

800هـ، ولكننا لا نستطيع التحدث عن الوثائق في العهد العثماني لخلو دور الوثائق العربية أما بسبب الجهل الذي عم الأواسط المدنية العربية خلال هذه الفترة أو بسبب الإهمال وعدم الاهتمام بهذا المصدر المعلوماتي، أو بسبب تعرضها للتلف والنهب ولاسيما أثناء الحرب العالمية الأولى، يضاف إلى ذلك أن الولاة والحكام العثمانيين اعتادوا أن يحتفظوا بتلك الوثائق وأخذها معهم عند نقلهم أو عزلهم<sup>19</sup>.

5. **الحقبة الاستعمارية:** تتميز هذه الحقبة بكثرة وثائقها بلغات متعددة، وهي موزعة بين مراكز ودور وثائق في أقطار عربية، وفي أرشيفات الدول الاستعمارية، تتألف هذه الوثائق من تقارير ورسائل ومذكرات تلك الدول وسفرائهم في الأقطار العربية فضلاً عن الأوامر والبلاغات والاتفاقيات وغيرها، وهذه تحتاج في دراستها إلى معرفة ودراية تامة بلغات مختلفة<sup>20</sup>.

أما من حيث صحتها ومبلغ الاعتماد عليها فتتقسم إلى عدة أقسام منها:

1. **الوثيقة الكتابية:** وهي وثائق قام بتحريرها أفراد دون الرجوع إلى موظف رسمي مختص أي أنها ليست معتمدة من جهة رسمية، وتتكون من كل ما يؤتمن على وثيقة مخطوطة باليد وتظهر بأجزاء متتابعة أو مدة محددة وزمن معين وكتبت من جانب مسؤول رسمي، وتعتبر هذه الوثيقة صحيحة لا يمكن الطعن فيها<sup>21</sup>.

2. **الوثيقة التصويرية:** وهي تلي الوثائق الكتابية، وتعد في علم التوثيق وثيقة مساعدة بمعنى أنه لا يعتمد عليها وحدها، لأن المحتوى فيها موضع ترجيح أو شك، وهي في الغالب رسم ما نقل بالزيت أو الفحم أو صورة أو نقش في الحجر أو صورة شمسية<sup>22</sup>.

3. **الوثيقة التشكيلية:** وتعد هي الأخرى من الوثائق المساعدة، وهي مماثلة للوثيقة التصويرية في كثير من المقومات، وقد تكون بناء قصور لأشخاص مرموقين أو

مؤسسات رسمية أو معالم أو آثار معمارية كقصر الحمراء في غرناطة، أو أهرامات الجيزة، ومسجد قرطبة، وقصر أشبيلية وجامعة القيروان في فاس وقبة الصخرة وكنيسة القيامة في القدس وسواها من المعالم الخالدة<sup>23</sup>.

4. **الوثيقة السمعية:** وتدخل في إطار الوثائق المساعدة، وتكون في الغالب تسجيلات صوتية أو إذاعية أو تسجيل إسطواني أو شريط سينمائي، ومع التطورات الالكترونية المعاصرة أصبحت هذه الوثائق يعتمد عليها الخبراء في دراسة الغناء ومستوى الصوت وطبقاته، وكذلك دراسة اللهجات الخطابية وأسلوب الحوار والنقاش عند رجال السياسة وزعماء العالم، فيستندون بذلك على دراسة شخصياتهم ومدى تأثيرها على الجماهير<sup>24</sup>.

#### العلاقة بين الوثائق وعلم التاريخ:-

يرتبط علم التاريخ ارتباطاً وثيقاً بالوثائق للوصول إلى الحقيقة التاريخية فبدون الوثائق وأشكالها المختلفة والمخطوطات لا يمكن كتابة التاريخ، وأي تاريخ يكتب في غياب الوثائق والمخطوطات تاريخ ينقصه الكثير من الحقائق فالوثائق تمهد السبيل أمام المؤرخ لكتابة بحوث مبتكرة، ومما يزيد من قيمة الوثائق أن تكون مترابطة، وفيها استمرارية بسبب نموها الطبيعي المتسلسل زمنياً مما يسهل على المؤرخ مهمة البحث العلمي، ويمكنه من الوصول إلى أحكام صحيحة لاعتماده على مجموعات كبيرة من الوثائق المتكاملة، وليس على نوعيات قليلة متباعدة في التسلسل الزمني، فالتراث المكتوب في الوثائق، والمخطوطات هو القاعدة الأصلية التي تركز عليها ذاكرة وبنية كل أمة، والوثائق هي الشاهد الأكبر على التاريخ، والدليل الأعظم على السمة الحضارية لأي شعب من الشعوب باعتباره ذاكرة الأمة<sup>25</sup>.

**أنواع الوثائق:** تنقسم الوثيقة إلى العديد من الأقسام إلا أن الذي يهمنا في هذا البحث وهو القسم التاريخي، وهذا بدوره ينقسم من حيث نشاطه إلى الآتي:

1. الوثائق غير النشطة: يلعب هذا النوع من الوثائق دورًا مهمًا في البحث العلمي, ويشتمل على الوثائق التاريخية الحيوية التي تتعلق بتاريخ البلاد سياسيًا, واجتماعيًا, وقانونيًا, ودينيًا, فبعدما يتم غربلتها وفرزها, واستبعاد عديم الأهمية منها من قبل لجان متخصصة ووثائقيين قادرين على فهرستها وتصنيفها وتذليل كافة الصعوبات, تحفظ بصفة مستديمة في الأرشيف التاريخي(Archivio Stovico), لتصبح مصدرًا مهمًا للمعلومات المقيدة حول الماضي وأحداثه يمكن الوصول إليها في أقل وقت وجهد ممكنين.

2. الوثائق شبه النشطة: يعتبر هذا النوع من الوثائق شبه منتهي, إلا أن المؤسسة التي أصدرتها مازالت في حاجة إليها, لاستكمال بعض أعمالها وخاصة إذا كانت فتراتهما الزمنية متباعدة, يحفظ هذا النوع من الوثائق (بأرشيف الوسط).

3. الوثائق النشطة: يحفظ هذا النوع من الوثائق في أرشيف المؤسسة المركزية بحيث يسهل استرجاعها بصفة مستمرة, ويعتبر هذا النوع ذا فاعلية إيجابية للمؤسسة الصادرة عنها, وهي ضرورية وهامة لتلك المؤسسة, لغرض تأدية نشاطاتها أو أعمالها في المجتمع.

### مراحل وصول الوثيقة إلى دور الوثائق المتخصصة:-

تمر الوثيقة المهمة والحיוية بعدة مراحل لوصولها إلى دور الوثائق المتخصصة نذكر منها:

1. التصنيف: ويقصد به تقسيم الوثيقة إلى عدة موضوعات, وكل موضوع إلى عدة فروع متجانسة, ويشترط فيها المرونة والدقة المنطقية<sup>26</sup>.

2. الفهرسة: الغرض منها هو المحافظة على سلامة الوثائق, وسهولة وصول الباحثين إلى الوثائق والسجلات المحفوظة وهذه عادة ما تتم وفقًا لعدة طرق, منها: الطريقة

الجغرافية, والطريقة الزمنية, والطريقة الهجائية, والطريقة المصنعة المختلطة (رقمية - أبجدية), ثم الطريقة الرقمية.

3. الاستعانة بذوي الخبرة: بقصد الوصول إلى كافة المعلومات التي تشتمل عليها الوثائق المحفوظة بدار الوثائق بسرعة, أي الاستعانة بالمتخصصين في المكتبات والمؤرخين والجغرافيين والقانونيين, وعلماء الآثار من أجل إعداد كشافات وفهارس دقيقة.

4. الحرص على سلامة الوثيقة وأمنها, وذلك بالتقيد بكافة الإجراءات المتبعة لسلامة الوثيقة.

### مبادئ وأسس تقييم الوثائق:-

إن الهدف من عمليات تقييم الوثائق هو تحديد مدة حفظ الوثائق, وتحديد الظروف الملائمة لعملية الحفظ, لذا يعتبر تقييم الوثائق من أصعب العمليات التي يواجهها المتخصصون والأرشيفيون, وخاصةً فيما يتعلق بأهميتها من حيث القيمة, والقدم والحدثة, ودرجات السرية, مما استوجب إخضاعها لمناهج النقد للتحقق من إمكانية تحديد أهميتها, وذلك عن طريق:

1. **النقد الداخلي:** ويتم ذلك بالتعرف على محتوى الوثيقة سواء عن طريق الأصل, أو الصورة, ومن خلاله يمكن التعرف على شكل الوثيقة وسماتها العامة, من حيث اللغة والصياغة والأسلوب والمقاس والحجم الذي كتبت به الوثيقة, وهذا النوع من النقد يساعد أيضاً على تحديد الفعل القانوني المسجل في الوثيقة وهو ما يعرف بالنص, وينقسم إلى قسمين هما:

أ - **النقد الإيجابي:** ويتضمن دراسة النص المدون على الوثيقة وتحليل محتواه للتحقق من الأوضاع التي تم فيها التدوين وللتأكد من صحة المعلومات الموجودة, ويشترط في تحليل المحتوى أن يكون التحليل موضوعياً بإتباع قواعد محددة يخضع لها بشكل كاف وواضح, كما يجب أن يكون التحليل مرتباً ومنظماً وفق نظام متدرج يضم كل العناصر

ويظهر قيمة المعلومات, والمعطيات التي يحتاجها الباحث, والتي لها علاقة بالفكرة الأساسية للبحث<sup>27</sup>.

**ب - النقد السلبي:** يلجأ إليه الباحث في حالة النصوص المتعارضة, ووجود الشك لديه بعدم صحة الوثيقة, فيقوم بدراسة وتصفية هذه المعلومات محاولاً الوصول إلى الحقيقة وبيان الضعف واحتمالات الكذب فيها بصورة أو بأخرى<sup>28</sup>

**2. النقد الخارجي:** ومن خلاله يمكن التعرف على شكل الوثيقة وسماتها العامة, من حيث المادة التي كتبت عليها الوثيقة, والمقاس والحجم, وهذا لا يتم إلا على أصل الوثيقة فقط, ويساعد النقد الخارجي أيضاً على تحديد السمات العامة للوثيقة كحجم الخط, والأسلوب والإخراج, وصحة التوقيع, والأختام.

### **المخاطر التي تواجه الوثائق:-**

تخضع الوثائق إلى العديد من المخاطر يمكن تصنيفها إلى الآتي:

**1. المخاطر الطبيعية:** وتنحصر هذه المخاطر في الرطوبة التي تؤثر بدورها في المادة المكتوب التي تكتب عليها الوثيقة كالورق والجلد والقماش, وذلك بتغير محتواها المائي الداخلي بسبب ارتفاع الرطوبة النسبية في البيئة المحيطة بالوثيقة, ممّا يؤدي إلى انهيار الخواص الميكانيكية للمواد التي كُتبت عليها الوثيقة, كما تصبح قابليتها شديدة للإصابة بفطريات التحلل ممّا يؤدي إلى تشوهات في شكل المخطوط وتكوّن الحموضة والبقع الصفراء على الأوراق ممّا يساعد على نمو الحشرات والفطريات والبكتيريا<sup>29</sup>.

**2. المخاطر الكيميائية:** تعد المخطوطات والوثائق من أشد وأسرع المواد تأثيراً بالمواد الكيميائية التي يحملها الهواء ممّا يؤدي إلى إصابتها بالأحماض التي تشكل خطراً فتاكاً على حياتها, وتكمن المخاطر الكيميائية في التلوث الهوائي والحموضة,

والأتربة والمعلقات الموجود في الهواء, والتي تحمل معها جراثيم الفطريات وبويضات الحشرات, والعوامل البيولوجية نظر لكون الوثائق والمخطوطات ومكوناتها من أصل عضوي فهي قابلة للتحلل والفساد تحت تأثير الأوضاع المناسبة من قبل الكائنات الدقيقة التي يكون بإمكانها إحداث تغيرات وتشوهات في الورق والأغلفة واللواصق والأحبار وغيرها<sup>30</sup>.

3. **العوامل الذاتية:** للإنسان كذلك دوره في إتلاف الوثائق وذلك بالاستخدام الخاطئ لها أو تصويرها وترميمها وتخزينها في أماكن غير مناسبة<sup>31</sup>.

### **كيفية حفظ الوثائق:-**

يمر حفظ الوثائق بغرض سلامتها وأمنها والبعد عن رداءة التخزين بالعديد من الخطوات الآتية<sup>32</sup>:

1. الاحتفاظ بالأوراق الضرورية فقط, والتي تضم بيانات ومعلومات يمكن الرجوع إليها مستقبلاً.
2. مراعاة الدقة في حفظ الوثائق.
3. استخدام أوعية مناسبة لحفظ الوثائق.
4. ترتيب الوثائق في ملفات خاصة تدون بها البيانات بفهرسة جيدة بما يضمن رؤية الرمز بسهولة ويسر يضمن استرجاعها إلى أماكنها بكل سهولة.
5. المحافظة على الوثائق في مراكز الحفظ المخصصة لحفظ الوثائق باستخدام خزائن حديدية, أو فولاذية محكمة, وعدم إعارتها إلا للمعنيين وبطلب خطي.

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: تواجه الباحث العربي مشكلات ومعوقات تحد من استفادته الكاملة مما يتوفر له من الوثائق التي يحتاجها في إنجاز أبحاثه التاريخية فما هذه المشكلات والمعوقات؟ للإجابة عن ذلك يمكن القول إن الوثائق العربية القديمة والحديثة نفتقر إلى الضبط والتسجيل الشاملين, فالجهود التعريفية بهذه الوثائق ضعيفة جداً وجزئية وانتقائية, وإن مراكز الوثائق العربية لا تصدر أدلة كاملة بمجوداتها من الوثائق<sup>33</sup> لذلك فالباحث العربي يبذل جهوداً كبيرة لمعرفة أماكن الوثائق التي يحتاجها لدراسته, تلك الجهود التي تستنفد منه وقتاً كبيراً, ربما يكون أكثر من الوقت المحدد لدراسته بعدة أضعاف, وتتفاقم هذه المشكلات ويكون لها أثارها السلبية عندما يكون الباحث محددًا بمدة مقررة لإنجاز بحثه.

## الخاتمة:-

تناول هذا البحث الوثيقة التاريخية ودورها في البحث العلمي, ناقش خلاله تعريف الوثيقة ودورة حياتها, وكيفية حفظها, وأهميتها في البحث التاريخي, ومراحل تطورها عند العرب, وكيفية الاعتماد عليها, وعلاقتها بعلم التاريخ, ومراحل وصولها إلى دور الوثائق المتخصصة ومبادئ وأسس تقييمها, والمخاطر التي تواجهها, وكيفية حفظها, وقد خلص هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1. يعتبر البحث عن الوثائق من أهم العمليات الأساسية لكتابة التاريخ.
2. البحث العلمي بدون وثائق لا قيمة علمية له.
3. الوثائق هي مصدر المعلومات الضروري لإيجاد أي بحث سواء كان تاريخياً أم قانونياً أم مالياً, أي أنه لا غنى للباحثين عن الرجوع إليها عند كتابة بحوثهم.
4. للوثائق دورة منتظمة تبدأ ببداية إنتاجها وولادتها, وتنتهي بإتلافها والتخلص منها, وهي بهذا تشبه دورة حياة الكائن الحي التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت.

5. تعكس الوثائق صورة الماضي بأحداثه وأخباره ومجريات الأمور فيه, لتكون مصدرًا مهمًا من مصادر البحث التاريخي.
6. لا تقاس قيمة أية وثيقة بقدّمها أو بالشخص الذي دوّنّها وإنما بالمعلومات المشتملة عليها.
7. يتوقف البحث الجيد إلى حد كبير على تصورات الباحثين لمدلولات الوثائق وطريقة تحليلها, وقابليتهم على إثبات صحتها وعدم تزويرها.
8. الهدف من الوثائق هو توفير المعلومات وتسهيل استخدامها لكل الفئات سواء في مجال البحوث الأكاديمية أم لمتخذي القرارات, وفي كل الميادين سياسية كانت أو اقتصادية أو غيرها من الميادين.
9. تعتبر الوثائق من أئمن نفائس التراث لدى الأمم وذاكرتها الحية الباقية, كما أنّها الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها تاريخ الأمم.
10. تمثل الوثائق نقطة البداية في علوم ومعارف المجتمعات ومصادرّها الأصلية, ولهذا السبب يقال إن تاريخ الدول والأمم محفوظ في دور وثائقها.
11. عرف العرب الوثائق التاريخية قبل غيرهم من الأمم بعصور مختلفة.
12. يرتبط علم التاريخ ارتباطاً وثيقاً بالوثائق للوصول إلى الحقيقة التاريخية فبدون الوثائق وأشكالها المختلفة والمخطوطات لا يمكن كتابة التاريخ.

#### هوامش البحث:-

---

<sup>1</sup> ابن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب, ط6, طبعة جديدة ومنقحة, بيروت, 2008م, (وثق) 152/15.

- 
- 2 الرازم, عز الدين حسين: إدارة المخطوطات, عمان, 1996م, ص9.
- 3 المسفر, عبدالعزيز بن محمد: المخطوط العربي وشيء من قضاياها, الرياض, دار المريخ, 1999م, ص45.
- 4 المالكي, زكي حسين: مصادر المعلومات وخدمة المستفيدين في المؤسسة المعلوماتية, عمان, مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع, 2002م, ص78.
- 5 محمود, حسام الدين عبد الحميد: تكنولوجيا صيانة وترميم المقتنيات الثقافية, القاهرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1979م, ص67.
- 6 عزام, برجس: مدخل إلى علم تصنيف المكتبات, دمشق, جامعة دمشق, 1986م, ص78.
- 7 عزام, برجس: الوثائق, دمشق, 1995م, ص89.
- 8 أبحارثي, باسم عبدالغني: دليل التوثيق والأرشفة الحديثة, صنعاء مطابع دائرة التوجيه المعنوي, 2007م, ص57.
- 9 حشمت, قاسم: التوثيق العلمي ودوره في خدمة البحث العلمي, رسالة ماجستير, جامعة القاهرة, كلية الآداب, 1971م, ص56.
- 10 عثمان, خديجة: الوثائق ودورها في البحث العلمي, مجلة الوثائق العربية, عدد 4, ص92.
- 11 همشري, عمر أحمد: إدارة الملفات: دليل علمي إرشادي للعاملين في مجالات المحفوظات والسكرتاريا وإدارة المكاتب, عمان, 1994م, ص122.
- 12 عبدالمنعم, شاكر محمود: الوثائق وأهميتها في دراسة التاريخ. المؤرخ العربي, عدد 55, 1997م, ص47.
- 13 العسكر, فهد إبراهيم: تقييم الوثائق الرسمية, الوثائق العربية, عدد 18, 1995م, ص38.
- 14 الفريخ, فريال: الوثيقة العربية ودورها الحضاري في حفظ ذاكرة الأمة العربية, المجلة العربية 3000 س2, عدد3, 2001م, ص38.

- 15 عثمان, خديجة: مرجع سابق, العدد 4, 1978م, ص 115.
- 16 الزبيدي, محمد عبود حسن: مصادر معلومات الأبحاث التاريخية, المجلة العربية عدد 4, (2001م) ص 89.
- 17 الالوسي, سالم عبود: علم تحقيق الوثائق, بغداد, دار الحرية للطباعة, 1977م, ص 66.
- 18 الحارثي, مرجع سابق, ص 98.
- 19 قبيسي, محمد: علم التوثيق والتقنية الحديثة, منشورات دار الأفاق الجديدة, بيروت, الطبعة الثانية, 1991م, ص 69 - 70.
- 20 ميلاد, سلوى علي: الوثائق العربية في مصر في العصر العثماني, أهميتها وقواعد تحقيقها, المجلة العربية, 300 عدد 4, 2001م, ص 80.
- 21 أمين, عبدالامير محمد: مصادر تاريخ العراق والخليج العربي في دار السجلات الحكومية الهندية, مجلة المؤرخ العربي, عدد 9, 1978م, ص 47.
- 22 الحكيم, دعد: التقنيات التقليدية والحديثة في مركز الوثائق التاريخية, المجلة العربية 3000, عدد 3, 2001م, ص 98.
- 23 السويدان, ناصر بن محمد: التنظيم الموضوعي للأرشيف, مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية مج 13, عدد 1, 2007م, ص 39.
- 24 قاري, عبدالغفور عبدالفتاح: دورة حياة الوثائق: بحث تطبيقي في ترتيب الوثائق والمحفوظات وتنظيمها وحفظها واسترجاعها, مجلة علم المخطوطات والوادر, عدد 2, 2001م, ص 26.
- 25 الحساوي, ظاهر محمد صكر: الوثيقة مفهومها وأهميتها في الدراسات التاريخية, أفاق الثقافة والتراث, العدد 53, 2006م, ص 20.
- 26 العمدة, هاني, المعالجة الفنية للمعلومات, الفهرسة, والتصنيف, التوثيق, التكشيف, الأرشيف, عمان, منشورات جمعية المكتبات الأردنية, 1985م, ص 293.

- 
- 27 العسكري, مرجع سابق, ص 22.
- 28 الزبيدي, مرجع سابق, ص 110.
- 29 السبحاج, خضراء: تقنيات الحفظ والترميم في المكتبة الوطنية الجزائرية, المجلة العربية  
3000, عدد3, 2001م, ص 190.
- 30 طواف, علي سعد: تطور حفظ وتنظيم الوثائق في اليمن, صنعاء, 2007م, ص 115.
- 31 المرجع نفسه, ص 117.
- 32 التدمري, أحمد جلال: أضواء على تنظيم الوثائق والمستندات الإدارية في دولة الإمارات  
العربية المتحدة, الوثائق العربية ع18 (1995م) ص 56 - 61.
- 33 الزبيدي, مرجع سابق, ص 114.